ايطاليا والإطار الزمني للنهضة

رواد النهضة

يدخل تحديد الإطار الزمني لعصر النهضة والبلدان التي شملتها مظاهر النهوض الجديد مع تعين مداها وآثارها ضمن القضايا المعقدة التي يدور حولها نقاش علمي مفيد. لم تخضع بالطبع جميع نتاجات القرنيين الخامس عشر والسادس عشر الإبداعية لقيم واتجاهات النهضة فإلى جانب أفكارها استمرت ثقافة العصر الوسيط. ثم ان مظاهر النهضة لم تقتصر على بلد دون آخر كما لم يجر تطورها ومن ثم ذبولها بوتيرة واحدة وعلى نمط واحد ، فقد اختلفت هذه الأمور حسب البلدان والظروف. ولكن يوجد نوع من الإجماع العام على أن اعتبار ايطاليا مهدا للنهضة والحركة الإنسانية . وقدت أدت مجموعة عوامل محددة متفاعلة فيما بينها إلى ظهور أفكار النهضة في ايطاليا قبل غيرها فقد ازدهرت هذه البلاد في أواخر العصور الوسطى بسرعة مدهشة. فمنذ القرن الحادي عشر غدت اقتصاديتها تعتمد بشكل متزايد على التجارة الخارجية فارتفعت طاقة سفنها في حوض البحر الأبيض الذي وجدت بضائقة النادرة من توابل وحرير ومصوغات ذهبية وفضية سوقا رائجة لها في كل الأقطار الأوربية تقريبا جني منها الطليان بالذات أرباحاً طائلة جعلت من كل واحد منهم أغنى من السابق. فلم ينته القرن الثالث عشر حتى أصبحت ايطاليا تحتل مكانة الصدارة في مختلف مجالات حياة القارة الاقتصادية والاجتماعية وتقدمت مدنها على غيرها بسرعة. ازدهرت جنوا وفلورنسا ومدن ايطالية أخرى بنفس المستوى بل أن الأخيرة فاقت البندقية في مجالات اقتصادية عديدة .

ليوناردو دافنتشي :

ليوناردو دافينشي(١٤٥٢-١٥١٩ م) يعد من أشهر فناني النهضة الايطاليين على الإطلاق وهو مشهور كرسام ،نحات، معماري،وعالم . كانت مكتشفاته وفنونه نتيجة شغفه الدائم للمعرفة والبحث العملي. له اثار عديدة على مدارس الفن بايطاليا امتد لأكثر من قرن بعد وفاته وان أبحاثه العلمية خاصة في مجال علم التشريح ،البصريات و علم الحركة والماء حاضرة ضمن

العديد من اختراعات عصرنا الحالي. وقيل عنه ان ريشته لم تكن لتعبر عما يدور بذهنه من أفكار وثابة حتى قال عنه كاستيلون :

"من الطريف جدا ان الرسام الاول في العالم كان يكره الفن، وقد انصرف الى دراسة الفلسفة تكونت لديه اغرب المفاهيم ،واحدث التصورات ، ولكنه لم يعرف ان يعبر عنها في صوره ورسومه .

البدايات في فلورنسا :

ولد ليوناردو في بلدة صغيرة تدعى فينشي ، تسوكانا ، قرب فلورنسا(Tuscany near Vinci in Florence). ابن غير شرعي لعائلة غنية أبوه كاتب العدل وأمه فلاحة مما جعله يفتقد حنان الام في حياته .

وفي منتصف القرن الرابع عشر استقرت عائلته في فلورنسا والتحق ليوناردو بمدارس فلورنسا حيث تلقى افضل ما يمكن ان تقدمه هذه المدينة الرائعة من علوم وفنون (فلورنسا كانت المركز الرئيسي للعلوم والفن ضمن ايطاليا). بشكل مثير ولافت كان ليوناردو يحرز مكانة اجتماعية مرموقة ،فقد كان وسيما لبق الحديث ويستطيع العزف بمهارة إضافة إلى قدرة رائعة على الإقناع . حوالي سنة ١٤٦٦ التحق ليوناردو في مشغل للفنون يملكه اندريا ديل فيروكيو (Andrea del Verrocchio) الذي كان فنان ذلك العصر في الرسم والنحت مما مكن ليوناردو من التعرف عن قرب على هذه المهنة ونشاطاتها في الرسم الى النحت .

وفي سنة ١٤٧٢ كان قد اصبح عضوا في دليل فلورنسا للرسامين . سنة ١٤٧٦ استمر الناس بالنظر إليه على انه مساعد (فيروكيو) حيث كان يساعد (فيروكيو) في إعماله الموكلة إليه منها لوحة (تعميد السيد المسيح) حيث قام بمساعدة (فيروكيو) برسم الملاك الصغير الجاثم على ركبتيه من اليسار ١٤٧٠– يوفوزاي فلورنسا (Florence Uffizi) . سنة ١٤٧٨ استطاع ليوناردو الاستقلال بهذه المهنة وأصبح معلم بحد ذاته .

عمله الاول كان رسم جداري لكنيسة القصر القديم او كما يدعى بالايطالية "بالالزو فيكيو" Chapel of palazzo Vecchio " التي لم يتم انجازها .اول إعماله الهامة كانت لوحة توقير ماغي (The adoration of the Magi) التي بدا بها سنة ١٤٨١ وتركها دون إنهاء ، التي كانت لدير راهبات القديس سكوبيتو دوناتو فلورنسا (san Donato a Scopeto) .

وفي سنة ١٥٠٢ التحق ليوناردو بخدمة دوق روما غنا سيزار بورجا (Cesare Borgia) ابن رئيس العسكر التابعين للبابا الكسندر السادس وكانت وظيفته رئيس المعماريين والمهندسين التابعين للدوق حيث اشرف على عمل خاص بالحصن التابع للمنطقة البابوية في مركز ايطاليا .

وفي سنة ١٥٠٣اصبح عضو ضمن مجموعة من الفنانين مهمتهم تقدير المكان الأمثل لتمثال (دايفيد) المشهور من الصلصال والرخام والذي قام بنحته الفنان مايكل أنجلو سنة (١٥٠١-١٥٠٤) في فلورنسا. كما خدم ليوناردو في حرب ضد بيزا كمهندس وفي نهاية العام بدا ليوناردو بتصميم زخرفة لقاعة (فيتشيو) الضخمة حيث كان موضوع الزخرفة هو معركة انغياري (Anghiari Battle of)نصر فلورنسا ضد بيز . قام بالعديد من الرسومات وأنجز الرسم التمهيدي بالحجم الطبيعي على القاعة عام ١٥٠٥ لكن مع الأسف ترك عمله دون انجاز كما ان الرسوم كانت قد زالت بحلول القرن السابع عشر ولم يبقى من عمله هذا الا بضع مخطوطات وبعض الرسوم المنقولة عن الأصلية من إعماله المثيرة للاهتمام آنذاك كانت رسومه لشخصيات متعددة (صور لشخصيات تبرز الوجوه) ولم ينج منها الا لوحته الخالدة والأكثر شهرة على الإطلاق لوحة الموناليزا (١٥٠٣-١٥٠٦) موجودة ضمن متحف اللوفر .

وتعرف أيضا باسم الجيوكندا وهو من المفترض اسم العائلة الخاص بزوج السيدة . من المعروف تأثر ليوناردو بهذه اللوحة وشغفه بها حيث لم يكن يسافر دون اصطحابه لهذة اللوحة معه . سنة ١٥٠٦ سافر ليوناردو الى ميلانو بدعوة من حاكم فرنسا تشارلز دامبيوزية (Charles d amboise) وخلال السنوات اللاحقة اصبح رسام القصر المعتمد للملك لويس الثاني عشر فرنسا اصبح يتنقل بين ميلانو وفلورنسا كثيرا فغالبا ما كان يزو إنصاف أشقائه وشقيقاته ويرعى ميراثه المكان الذي توفي به ليوناردو دافينشي .

انهمك في ميلانو بمشاريعه الهندسية وعمل على تصميم نصب تذكاري على شكل فارس (جان كاكومو تريفولزيو) قائد القوات الفرنسية في الدينة وعلى الرغم من ان المشروع لم يكتمل الا ان مخططات المشروع ودراساته تم الاحتفاظ بها من سنة ١٥١٤-١٥١٦ عاش ليوناردو في روما تحت ضيافة البابا ليو العاشر في قصر بيلفيديريه في الفاتيكان واشغل نفسه بالتجارب العلمية . سنة١٥١٦ سافر الى فرنسا ليكون في خدمة الملك فرانسيس الاول وأمضى سنواته الأخيرة في تشاتيو دو كلو قرب امبوس (Chateau de Cloux) حيث توفى سنة ١٥١٩ عن عمر يناهز ٦٧عاما .

على الرغم من ان ليوناردو كان قد رسم عدد ضئيل نسبيا من اللوحات واغلبها قد فقد او لم يتم إنهاؤها لكن ليوناردو كان فنان عصره ومبدعه وذو تأثير واضح على مدى قرن من بعده .

عذراء الصخور النسخة الثانية

في بداية حياته كان فنه يوازي فن معلمه فيروتشيو الا ان شيئا فشيئا استطاع ان يخرج من كنف فيروتشيو ليحرر نفسه من أسلوب معلمه الصارم والواقعي تجاه الرسم فكان ليوناردو في أسلوبه وإبداعه يخلق رسومات تلامس الأحاسيس والذكريات .

تضمنت إعماله الأولى لوحة (توقير ماغي) كان قد أبدع أسلوبا جيدا في الرسم فجمع مابين الرسم الأساسي والخلفية التي كانت مشهد تعبر عن يعد خيالي من اطلال حجارة ومشاهد معركة . أسلوب ليوناردو المبدع كان ظاهر بشكل اكبر في لوحة العشاء الأخير حيث قام بتمثيل مشهد تقليدي بطريقة جديدة كليا . فبدلا من اظهار الحوارين الاثني عشر كأشكال فردية ، قام بجمعها في مشهد ديناميكي متفاعل . حيث صور السيد المسيح في المنتصف معزولا وهادئا وضمن موقع السيد المسيح قام برسم مشهد طبيعي على مبعد من السيد المسيح من خلال نوافذ ضخمة مشكلا خلفية ذات بعد درامي . ومن موقع السيد المسيح بعد ان قام بإعلانه إن احد الحوارين الجالسين سيخونه اليوم استطاع ليوناردو تصوير رده الفعل من هادئ الى منزعج معبرا بذلك عن طريق حركات إيمائية . من ضخامة الصورة وعظمة شأنها استطاع ليوناردو ان يسبق الكثيرين من عصره واستلزمت هذه اللوحة الكثير من عمليات الترميم (٢٢) عملية انتهت عام ١٩٩٩ لتعود الى بعض من رونقها الذي كان .

الموناليزا :

أشهر إعمال ليوناردو على الإطلاق وتأتي شهرته من سر ابتسامتها الأسطورية فتعتقد تارة أخرى أنها تسخر منك .على كل فقد استخدم ليوناردو تقنيتين هامتين في هذه اللوحة كان ليوناردو رائد هذه التقنيات ومعلمها.

*الاول : سوفوماتو (sfu mato) وتعني تقنية تمازج الألوان وهي وصف الشخصية او رسمها ببراعة وذلك باستخدام تحولات الألوان بين منطقة وأخرى بحيث لا تشعر بتغير الألوان مشكل بذلك بعدا شفاف او تأثير مبهم ...وتجلت هذه التقنية بوضوح في ثوب السيدة وفي ابتسامتها .

*الثانية : كياروسكورو (Chiaroscuro) وهي تقنية تعتمد على الاستخدام الأمثل للضوء والظلال لتكوين الشخصية المطلوبة بدقة عالية جدا وتظهر هذه التقنية في يد ي السيدة الناعمتين حيث قام ليوناردو بإضافة تعديلات عبر الإضاءة والظل مستخدما تباين الألوان لإظهار التفاصيل .

مايكل أنجلو :

مايكل أنجلو بونابرتي / رسام ونحات ومهندس وشاعر ايطالي كان لانجازاته الفنية الأثر الأكبر على محور الفنون ضمن عصره خلال المراحل الفنية الأوربية اللاحقة . اعتبر مايكل أنجلو إن جسد الإنسان العاري الموضوع الأساسي بالفن مما دفعه لدراسة أوضاع الجسد وتحركاته ضمن البيئات المختلفة .

ان جميع فنونه المعمارية كانت ولا بد ان تحتوي على شكل أنساني من خلال نافذة ، جدار او باب سواء كان تحدي جسدي او عقلي كان مايكل أنجلو يبحث دائما عن التحدي واغلب المواضيع التي كان يعمل بها كانت تستلزم جهدا بالغا سواء كانت عبارة عن لوحات جصية او

لوحات فنية كان مايكل أنجلو يختار الوضعيات الأصعب للرسم إضافة لذلك كان دائما مما يخلق عدة معاني من لوحته من خلال دمج الطبقات المختلفة في صورة واحدة واغلب معانيه كان يستسقيها من الأساطير ، الدين ومواضيع أخرى .نجاحه في قهر العقبات التي وضعها لنفسه في صنع تحفه كان مذهلا إلا انه كثيرا ما كان يترك إعماله دون انجاز وكأنه يهزم طموح نفسه . اثنان من أعظم إعماله النحتية ،تمثال داوود وتمثال بيتا ، العذراء تنتحب قام بانجازهما وهو دون سن الثلاثين .

رغم كون مايكل أنجلو من الفنانين شديدي التدين فقد عبر عن أفكاره الشخصية فقط من خلال إعماله الأخيرة فقد كانت إعماله الأخيرة من وحي واستلهام الديانة المسيحية مثل صلب السيد المسيح خلال مسيرة عمله فقد تعرف مايكل على مجموعة من الأشخاص المثقفين يتمتعون بنفوذ اجتماعي كبير رعاته كانوا دائما من رجال الأعمال الفاحشة الثراء او رجال ذوي المكانة الاجتماعية القوية وطبعا أعضاء الكنيسة وزعمائها ، من ضمنهم البابا يوليوس الثاني ، كليمنت السابع، ويلوص الثالث ، مايكل أنجلو سعى دائما ليكون مقبولا في رعاته لانه كان يعلم بأنهم الوحيدون القادرون على جعل إعماله حقيقة . من صفات مايكل أنجلو انهو كان يعتبر الفن عمل يجب ان يتضمن جهدا كبيرا وعملا مضنيا فكان معظم إعماله إعمال تتطلب جهدا عضلي وعددا كبيرا من العمال وقليلا ما كان يفضل الرسم العادي ألذ يمكن أداءه بلباس نضيف وتعتبر هذه الرؤية من احدى تناقضاته التي جعلته يتطور في نفسه من حرفي الى فنان عبقري قام بخلقة بنفسه .

قام مايكل أنجلو في فترة من حياته بمحاولة تدمير كافة اللوحات التي قام برسمها ولم يبقى من لوحاته إلا عدة لوحات ومنها لوحة باسم (دراسة لجذع الذكر) التي أكملها أنجلو عام ١٥٥٠ والتي بيعت في صالة مزادات كريستي بنحو أربعة ملاين دولار وكانت هذه اللوحة واحدة من عدة رسومات قليلة للإعمال الأخيرة لمايكل أنجلو الذي توفي عام ١٥٦٤ ، والتي تبدو أنها تمت بصلة الى شخصية المسيح في الذكرى ال٥٠٠ لتمثال داوود الشهير أثارت عملية تنظيف ذلك التمثال بالمياه المقطرة جدلا واسعا حيث وافق وزير الثقافة الايطالي جوليانو اورباني على تنظيف تمثال داوود بالمياه المقطرة رغم احتجاج العديد من الخبراء على طريقة التنظيف حيث رأى البعض ان تلك الطريقة من التنظيف ستلحق إضرارا بالرخام وسط مخاوف من ان تصبح منحوتة داوود أشبه بمنحوتة عادية من الجص وطرح الخبراء فكرة التنظيف الجاف الذي رفضه وزير الثقافة جوليانو اورباني .

بالرغم من اعتبار رسم اللوحات من الاهتمامات الثانوية عند أنجلو إلا انه تمكن من رسم لوحات جداريه عملاقة أثرت بصورة كبيرة على منحى الفن التشكيلي الأوربي مثل تصوير قصة

سفر التكوين في العهد القديم على سقف كنيسة سيستأن ولوحة يوم القيامة على منبر كنيسة سيستايت في روما .

ومايعتبر فريدا في حياة فناني عصر النهضة ان أنجلو كان الفنان الوحيد الذي تم كتابته سيرته على بد مؤرخي ن بينما كان على قيد الحياة حيث قام المؤرخ جورجيو فإساري بكتابة سيرته وهو على قيد الحياة ووصف فإساري أنجلو بذرة فناني عصر النهضة . بلا شك فان مايكل أنجلو قد اثر على من عاصروه ومن لحقوه بتأثيرات عميقة فأصبح أسلوبه بحد ذاته مدرسة وحركة فنية تعتمد على تضخيم أسالب مايكل ومبادئه بشكل مبالغ به حتى أواخر عصر النهضة فكانت هذة مدرسة تستقي مبادئها من رسومات مايكل ذات الوضعيات المعقدة والمرونة الأنيقة فريدة من نوعه وباحث عن التحدي بهذه الكلمات نصف مايكل أنجلو الذي أسره الفن واستلهمته الإبداعات

دوناتللو ١٣٧٧-١٤٤٦:

تكشف لنا سيرة دوناتللو (Donatello) عن تناقض ملحوظ مع معاصره (جيبرتي) الأكبر منه سنا فعلى حين تناول دوناتللو جميع المجالات الممكنة في فن النحت وقدم لكل منهما نماذج نالت صيتا ذائعا ، التزم جيبرتي إلى حد بعيد بتخصصه .وقد تميزت اعمال دوناتللو بتعدد أساليبها على نحو ما يتضح من تماثيله لوحينا المعمدان ، كما لازمه التوفيق على الدوام في تطويع مواده لفنه سواء أكانت من البرونز او الخشب او الرخام ،ونحت التماثيل بنفس اليسر الذي حفر به النقوش البارزة على البرونز والرخام وبينما اقتصرت معرفة جيبرتي بالنحت الكلاسيكي على النماذج المحلية وما أفاد من مطالعة كتابات فتروفيوس وغيره ارتحل دوناتللو بصحبة برونليسكي الى روما لدراسة المنجزات الكلاسيكية العظمى ، وكان لمزاجه الانفعالي العنيف وخياله الجريء المندفع اثر في نبذه ثرثرة التفاصيل المعتمدة لدى الصياغ ، ومن ثم اتسم فنه بمسيم العظمة المهيبة التي أزرت بعظمة جيبرتي حيث أصبحت بالقياس إليها لونا من الألوان الحذلقة وهكذا أفضت قدرة دوناتللو على التعبير الملحمي وطاقاته والهائلة وعنفه واندفاعه الى ان تجعل منه السلف الحق لمايكل أنجلو .

انطلق دوناتللو مع صديقه برونليسكي الى روما بعد ان خسر كلاهما مسابقة باب مبنى المعمودية الشمالي ، حيث قام بدراسة التماثيل والمعابد المتداعية واندفعا يقيسان نسبها ،بل حاولا تصوير كيفية ترميمها حتى خيل لبعض معاصريهم إنهما كانا في الحقيقة يسعيان الى الوقوع على كنز من النقود الرومانية المدفونة وبهذا يمكن ان نعد كلا من دوناتللو وبرونليسكي اول علماء الاثار في عهد النهضة فقد فتحت مكتشفاتهما الباب على مصراعيه للابتكارات التي تسللت الى الأساليب الفنية ويعد دوناتللو أعظم مثال في دائرة برونليسكي دون منازع ، وكان اكبر سنا من المصور مازاتشيو، وعلى غراره كان يسعى الى استبدال الملاحظة الدقيقة للطبيعة

بما جرى عليه إسلافه فلم يكن عباقرة فلورنسا في مطلع القرن الخامس عشر راضين عل تكرار الأساليب القديمة المتداولة في القرون الوسطى ، كألاغريق والرومان الذين كانو موضع إعجابهم عكفوا في مراسمهم ومحا رفهم على دراسة الجسد البشري وقد حضي دوناتللو بشهرة ذائعة خلال حياته فدعته المدن الايطالية الأخرى مثلما دعوا جوتو الذي سبقه بقرن من الزمن ليضيف بدوره الى جمالها وكانت إشكاله على نهج إشكال مازاتشيو خشنة ذات زوايا وإشاراته وإيماءاته عنيفة معبرة لا تنطوي على أي محاولة لتلطيف او تخفيف ما قد ينم عنه الموضوع الممثل من عنف او قسوة اوظلم. وتمثال دوناتللو المسمى "لوز وكوني" أو"الأصلع" واحد من سلسلة التماثيل الرخامية التي أعدها لكاتدرائية فلورنسا وبرج أجراسها الذي عهد إليه بتنفيذه عام ١٤٢٤ ، وقد صمم التمثال كي يستقر في كوة بالطابق الثالث من برج الأجراس ليراه الناس على ارتفاع ستة عشر مترا ونصف من سطح الأرض .

دانتي اليجيري :

شاعر ايطالي معروف ويعتبر باتفاق الآراء المبشر الأول للنهضة ولد في فلورنسا واشترك بعدة نشاطات في حياته السياسية وكان يميل إلى الاتجاهات المعارضة هناك حتى انه حكم غيابيا لهذا السبب فبقي يعيش بعيدا عن مسقط رأسه إلى أن وافاه الأجل حيث دفن في رافنا ، كان دانتي واحد من اثقف مثقفي عصره مما أعطاه إمكانية فهم جوانب مهمة غير مرئية من محركات الحياة والمجتمع لم يكن من السهل إدراك كنهها آنذاك . فقد وضع اليد بسرعة على الدور الكبير الذي بإمكان اللغة القومية أداؤه في التحريك من اجل التغير ، فأصبح ابرز رائد للدعوة إلى استخدام اللغة الايطالية في النتاج الأدبي بدل اللاتينية مما وجد له صدى واسعا بين الأوساط المثقفة خاصة فلورنسا .

بوكاشيو :

ولد الكاتب الايطالي البارز جيوفاني بوكاشيو في باريس في عائلة فلورنسية امتهنت التجارة.أراد والده ان نجعل منه تاجرا أو محاميا ، ولكن لم تكن لبوكاشيو رغبة نحو أي من المهنتين. بعد عودته إلى ايطاليا بدا نشاطه الأدبي في مدينته نابولي التي كانت تجمع آنذاك بين بقايا القديم المتمثلة في مظاهر الفروسية وبدايات التحول الجديد المتمثلة في ظهور بعض

الإنسانيين فيها تمتع بوكاشيو في نابولي برعاية ملكها كما وقع في حب ابنته غير الشرعية ماريا التي لعبت في حياته ما لعبته كل من باتريس بورتيناري ولا في حياة دانتي وبترارك الإبداعية.